مجلة "نتائج الفكر" الصادرة عن معهد الآداب واللغات
المركز الجامعي صالحي أحمد النعامة
العدد 05،06 . السنة 2020، ص237-255
ISSN 2477-992x / EISSN 2773-2762

البلاغةُ و نقدُ النَّص :قراءةٌ في المُنجَز النَّقدي التُّراثي

(تحقيق المفهوم وبيان المضمون)

Rhetoric and text Criticism: A reading in the heritage critical achievement (Realization of the concept and clarification of the content)

الباحث: شرف إبراهيم

المركز الجامعي أحمد بن يحي الونشريسي- تيسمسيلت-

Cherfbrahim38@gmail.com

ملخص البحث تُعدُّ البلاغةُ العربيةُ أحدَ الأثافي الثَّلاث في منظومتنا الأدبيَّة بعامَّة، و مدوَّنتنَا النَّقدية بخاصَّة، و لِرَصد مسَاراتها و الوقوف علَى مُرتكزَات هذَا النَّص اللُّغوي الذَّي شُغِفَ بِمنَاقشَة مَّضامينه، و بَحث آفَاقِه المعرفيَّة، و الحَفْر في عُمقِ المتن التُّراثيّ، الذَّي مَازالت أرضُه بكراً، و بسبب ما فرضته الرهانات الحديثة على البلاغة العربية، كان لزاماً عليها أن تلبس ثوباً جديداً، يوائمها يوائم عصر من تخاطبهم، لذاانبرى العديد من الباحثين في سبيل تثوير مكتنزاتها، ويُحاولُ هذا البَحثُ الوقُوف علَى كُبرى القَضَايا التَّي تمُسُ البَّلاغة القَديمَة، ثُمَّ إلى التَّمَاس بين البَّلاغتين القَديمَة و الجَديدة، لذا استوعَب الدَّارسُون مَفهوم البَّلاغة التَّقليدي المكرور في كُتُبِ التُّراث، و تَجاوزوه مِنْ مُجرَّد المفهوم إلى خلفيَّة المحتَوى و المِضمُون، حَسبَ ما يقتضيه لسان الحال و طرائق الاستدلال، ليكون ذلك دَّالةً على فائِقيَّتهَا النَّصيَّة، و ذائِقيَّتهَا الجمَاليَّة .

الكلمات المفتاحية: البلاغة العربية، البلاغة الجديدة، النقد، التراث، الإعجاز.

Abstract: Arabic eloquence is one of the basics in our ternary literary system in general and critical account in particular. To track its path and examine and discuss the basis and the contents of this linguistic text, to explore its cognitive prospects, and to dig into its old historical text which is still not explored, the Arabic eloquence had to cope with the modern challenges and to its interlocuters. Many scholars have worked to revolutionize its rich content. This research tries to highlight the important aspects which deal with the old eloquence. It tackles the common points in both the old and modern eloquences. Scholars have understood the traditional and repeated concept of eloquence in the books of heritage. They went beyond to the background of its content in accordance with the situation. This proves its textual competence of expression and its artistic taste.

Key words: Arabic eloquence, modern eloquence, criticism, heritage,

شرف إبراهيم Cherfbrahim38@gmail.com

المقدمة:

يشكل التّراث بقضاياه وخلفيّاته ومدوَّنَاته رافداً مهماً في إذكاء جذوة البحوث ومدّها بصنوف المعارف، وبسبغها بنوع من الطَّرح العلمي المؤصَّل، لذا كان سعيُ العلماء إلى تحقيق التّراث بحمولاته ومنجزاته بعين الجَديد، هي في الحقيقةِ ثَورةٌ داخليةٌ تهدف إلى تَنْوير مُكوِّنات ومَكنُونَات الذُخر المعرفي للتُّراث؛ ولقد دأب العلماء ومنذ القديم إلى إدمان النّظر وإجالة الفِكر بغية تَشْذِّيب شجرة التُّراث، هذه الشَّجرة التيّ ما فتِّأت تَتَّسع وتمتَّد بأفنانها وفنونها يوماً بعد يوم، وقد زادت تلك الحِدَّة في عصرنا ممَّا حَدا بذوي الحِجَا إلى النَّهوض بالتُّراث البلاغي وعدم العكُوف على مخلَّفات الماضي والجمود عليه، وتقديسه وعدم الرِضا بالخُؤول عنه، إلى دعوة محفزة إلى قراءةٍ مثمرة وجَادة، الغَرضُ منها الخُروج بهذا التَّراث من حيّز الخِدَاج إلى حيّز حُسْنِ التَّشكُل والاكتمال، وبإضفاء الجَديدِ على القَديم سعياً إلى تأطيره وترشيده، وجَعلِه يُواكبُ الواقع المعاصر بآلياتٍ مفاهميَّة، وقواعد إجرائية، هي إحدى محاسن الاجتهاد ومزايا الانتقاد التي يمارسها العقل الحديث ويرمي إلى تقعيدها ومن ثمَّ إلى تحقيقها، وإلى هذا المسْعَى نادى الإمام ابن قتيبة الدِّينَوَري رحمه الله تعالى(276) رافعاً عَقيرتَه قائلاً " إنّ الله لم يَقْصِر العلم والشِّعر على زمن دون زمن، ولا خصَّ به قوماً دون قومٍ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده في كل دهرٍ وجعل كل قديمٍ حديثاً في عصره "[1].

إنَّ الخَّصَاص المعرفي الذي تشغلُه البلاغة العربية في ظل التَّحولات الرَّاهنة والدَّعاوى القائمة التيَّ فرضت نفسَها وبقوة، قد أمسى واقعاً، لذا فقد باتَت فرضيَّة التَّغيير والتَّطور حلاً، لامناص منه، وسَط الاستلاب الحضاري المتزايد، والتأثيرات الثَّقافية المتطَّامِنة بمثقلاتها وأعبائها، حتى أضحت تُسهم في تشكيل المعطَى البلاغي العربي وبقوةٍ، (إن التُّراث البلاغي والنَّقدي هو طغراء اللُّغة وَوَشْيُ كلامها)لأنَّه المنظومة المنَظِّمَة للكلام، القادر على صياغتها صياغةً تقوم على نمطيّ الإقناع والإمتاع والسُّؤال الذي مازال يُطرح دائماً هو في كيفية " قراءة التُّراث " وبأي عقل يُقرأ، وفي التفكير في كيفية التعامل مع إنجازاته التي تتطابق في كثير من جوانبها مع أحد ما توصلت إليه العلوم الأدبية واللِّسانية والنَّقدية الحديثة فكانت هذه الأسئلة تجرنا إلى (سؤال التُّراث) وهي دعوة منهم إلى الخَلْقِ لا إلى الخَرْقِ، فقد غَدَت المواضيع القديمة تُحَتَرُ اجترَارَا مُمّلاً، ومن المؤسف أن تُدرس الموضوعات القديمة بمثل هذه الهيوبيّة، فهآ هو النّص القرآني يَفتَح للإنسان العَاقل أنْ ينْظُر فيه،

ويُعمِلَ عقَله في مضَامينه ومنَاحيه؛ وذلك بالاجتهاد في النّص الذي لا نص فيه، فما بالك في ما هو دونه في القُدسية والمكانة. فهي دراسة تسعَى إلى الخروج من ضَيق النّفق إلى سعة الأُفق، وتحاول أن تحاور وتبرز جماليات وتجليات المثاقفة في المخيال العربي المعاصر، والسؤال الذي نطرحه بشدة هو:كيف بإمكان هذه المفاهيم البلاغية القديمة أن تحتضن وتتبنى أفكاراَ ورؤىً جديدة ليست من بيئتها ولا من ميراثها ؟ بل وكيف لها أن تصوغها صياغةً تَتَواءم وخصوصيّاتها الحضارية عبر مراحل التّاريخ؟ وفي بيان مسألة تقاطع المنجز التُّراثي مع المنجزات العلمية الحديثة، فقد كان يتطلبُ صياغةَ رؤيةٍ منهجيةٍ في طُرُقِ دراسة التُّراث وتأويلهِ بآلياتٍ غربيةٍ في ظل مقاربة تأصيليَّة لهذا المكوّن البلاغي من أجل فهمها في سياقها التاريخي والمعرفي، وَوِفْقَ قراءةٍ مستمدةٍ من بنية هذا التُّراث نفسه وموافقةً لخصوصيّةِ الوعيّ البلاغي والنَّقدي عند العرب.

دراسةٌ تروم البَّحث عن مفاهيمَ ونظرياتٍ عربيةٍ صميمةٍ استناداً إلى (منهج حفري ومندمج) يَسْتقري القاعدة ومن ثمَّ يبني عليها فروعَهُ ومشروعَهُ، " إنَّ عملية قراءة التُّراث البلاغي والنَّقدي عند العرب ينبغي أن تُحَصِّلَ شرطين رئيسيّين بدونهما تَستحيلُ أن تكون علميَّةً دقيقةً :فأمَّا الشَّرط الأول فعلَى البَّاحث – الذي ينشد الحقيقة العلمية – أنْ يكون متشبعاً بثقافته التَّراثية وملمّاً بدقائق أحكامها وتصوراتها وأن تكون علاقته بالتُّراث ليس مجرد علاقة البَّاحث بموضوعه...وأما الشَّرط الثَّاني فيتمثل في ضرورة أنْ يكون مستوعباً علوم عصره ومفاهيمها ومواكباً مستجداتها النَّظرية والمنهجية "[2]. يقول أحد الباحثين " فالنص التَّراثي في حقيقة أمره يملك حضورين :حضور (هناك) في تاريخه الخاص في القرن الثالث أو الرَّابع أو الخَّامس للهجرة،حيث كَتَبَ ابن المعتز، أو قدامة بن جعفر،أو عبد القاهر الجرجاني،و حضور (هنا) في تاريخنا الخاص في القرن الخامس عشر للهجرة "[3]. يقول بدوي طبانة مشيداً بتراث وإرث العرب بما فيه من مكتسبات وإمكانات: "لِيَجدَ الأوَّلُون في هذه الدِّراسة بعضَ ما يُطمئنُهم على ماضي أسلافهم ومقومات لغتهم...وليعرِفَ الآخرون أنَّ هذه الأمة لم تكن فقيرةً في العلم والفن "[4].

لا أحد يُنكر ما وصلت إليه المناهج في الدّراسات اللّغوية والنّقدية المعاصرة حتَّى أضحت أكثرَ من ضرورةٍ ملحةٍ، لا باعتبارها "مِفتَاح التَّحكُم في كلِّ بحثٍ، ونجوعِ كلِّ دِّراسة "[5]. بل لأنَّ وجودَها غدا أمراً حتمياً، لأنَّها صارت الأداةَ المساعدة على استنطاق القضايا، وفهم حقيقة الأشياء،

حيث "إنَّ قدرتَنا على الإبداع تكمنُ في قدرتنا على إعادة توليد الأفكار التي تلقيناها عبر التّاريخ، ومن دون المناهج الصالحة تبقى المعطيات خرساء نستنطقها فلا تجيب "[6].

لذا وجدنَا أغلَب التيارات النّقدية الحديثة تتجه إلى إمكانية إعادة قراءة البلاغة على ضوء المكتسبات المنهجية الجديدة، ولاسيما مكتسبات اللّسانيات، وذلك منذ السّتينات للكتب التي راحت تؤرخ للبلاغة الغربية، أوتعيد قراءتها وتفسر فعالتها مع "رولان بارت"(تاريخ البلاغة)و"جاهن كوهن" و "كبدي فاركا "و "جان مولينو"و " طامين" ...ولقد سعى "رولان بارت " وهو أحدُ زعماء التّجديد الذين رفعوا لواء التّغيير مطالبين بتغيير مسار البلاغة و محاولة إلباسها فستاناً جديداً يُوائِم عصرَها و عصرَ من تخاطبهم، ولقد كتب سنة 1963م قائلا: " ينبغي إعادة التفكير في البلاغة الكلاسيكية بمفاهيم بنيوية، وسيكون حينئذٍ من الممكن وضع بلاغة عامة أولسانية لدوال التّضمين، صالحة للصّوت المنطوق، والصّورة، والإيماء..."[7]. ولقد تنادت أصوات من هنا وهناك واصفةً البلاغةَ تارةً بوصفِ (الإمبراطورية) وأخرى بوصفها بـ (العجوز)فتوالتْ عليها الألقابُ والنّعوتُ فصيّروها دائرةً بين مصطلحاتٍ قديمةٍ واصطلاحات جديدةٍ يراد لها ذلك ،وقد قيل عن هذه البلاغة بأنّها ماتتْ وأفسحت المجال لعلومٍ أخرى كالأسلوبيّة والشّعرية لتتربّع على عرشها، ومن بعد لِتَتَسمَّى بغير اسمها، وتخوض معها غمار البحث والمعرفة، في خضم ثورةٍ ثقافيةٍ وحضاريةٍ حَكَمُهَا الدَّليل وشَاهدُهَا التَّاريخ بِأزمَانِه وحِقَبه.

الإعجاز القرآني والتراث البلاغي :

قال أحدهم واصفا كتاب الله تعالى :

تَزين معانيه ألفاظَه وألفاظُه زائِناتُ الـمَعاني

قال الراغب الأصفهاني (ت 502هـ) في وصف ألفاظ القرآن فـ " ألفَاظُ القُرآن هي زُبدَتُه وواسطَتُه وكرائِمُه وعليها اعتمَاد الفُقهاء والحكَماء في أحكَامِهم وحِكَمهم ، وإليها مَفزَعُ حُذّاق الشُّعراء والبُلغَاء في نَظمِهم ونَثرهم ..."[8].إنّ هذا التّحدي الصّارخ الذي أبى إلا أن يُعلنه رجل من قريش من أعرف النّاس باللّغة وبكلام العَرب نابت في معدن اللّسان عَارفٌ بجواهر الكلام، فلم يملك بعد أن سمعه إلا أن قال كلمته ذات الوصف الشّعري و التي انتُزِعَت من سَريرته انتزاعَ

الإقرار لا انتزاع الاضطرار .." والله إنّ لقوله لحلاوة، وإنّ عليه لطلاوة، وإنّه لمثمِرٌ أعلاه، مُغدِقٌ أسفَلُه، وإنّه يَعلو ولا يُعلَى عليه، وإنّه ليُحَطّم ما تحتَه "[9] .

لقد كان لعلماء الإعجاز دورا هاماً في تحريك عجلة البحث البلاغي بشكل جدّي وذلك بإثارة مكامنه واستنفار دواخله والوقوف على أسراره اللّغوية، ولطائفه البيانية، فكان كتاب الله هو بداية الإعجاز، ومنتهى كل إنجاز ومحط أنظار المتَوسمين من أهل الفِكر والحِجا، لذا توالت التآليف من أربَاب الصناعة حول هذا الكتَاب، فقد شَغل الطّوائف والفِرق بما يحمله هذا الكتاب من طَرائِف ولَطائِف، وحقَائق ودقَائق، لاسيما ما نلفيه عند المعتزلة باعتبار العَقل أحد أهم المرتكزات الأساسية عندهم لتحصيل المعرفة لذلك كان أحد أولئك الذين تشوّفوا لدراسة مضامين هذا الكتاب الجليل بآليات تتّسم بنقدات بلاغية وإرهاصات بيانية تضطلع بتلك الفَرادة اللغوية والإلمام العلمي الجريء، فكان الجاحظ (ت 255هـ) هو ابن بَجْدَتها وفارس حَلبتها فهو أول من حَسَر النقاب عن خبايا النص القرآني بمفاهيم بلاغية وإجراءات استنباطية استنطاقية خدمت النّص القرآني وأثارت ما فيه من جاهزية مُغرية، وألمعية أصمعية ذكية، احتفى كتاب الله من خلالها بميزة التفسير وأثيرية التصنيف فكان كتابه " نظم القرآن " في الأساس منحى بلاغي تطرق فيه إلى جمالية الأسلوب البياني للقرآن الكريم ليجيء بعده من يساميه ويدانيه في ذات السّبيل معاصره وتلميذه ابن قتيبة الدّينَوَري (ت276هـ) فإنّه في كتابه " تأويل مشكل القرآن " والذي قام بتأليفه في الردّ على المعاندين والطاعنين على كتاب الله فَندَب نفسه لدرئها، وتبيين زائفها، فقد أعانه على ذلك امتلاكه لزمام البيان، واقتداره على النقد العلمي المتين ومُثافنته للعلوم وثقافته التي تمثل ثقافتين هما : العربية والفارسية، فقد قال في كتابه هذا "وإنما يعرف "فضل القرآن " من كثر نظره واتسع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب وما خص الله به لغتها دون جميع اللغات، فإنه ليس في جميع الأمم أمّة أوتيت من العارضة والبيان واتساع المجاز ما أوتيته العرب..."[10].

لتتعاور كتاب الله العديد من الأقلام بدءاً بالرمّاني علي بن عيسى (ت386هـ) بكتابه " النُكت في إعجاز القرآن " والإمام أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (ت403هـ) بكتابه " إعجاز القرآن " بيد أن أول من جوّد التأليف في هذا الفن بالذات هو أبو عبد الله محمد بن

يزيد الواسطي المتوفي سنة (306هـ) وهو كتاب " إعجاز القرآن " وممن ألفوا في الإعجاز أيضا على وجوه مختلفة من البلاغة والكلام وما إليهما ، الإمام الخطابي (ت388هـ) وفخر الدين الرازي (ت 606هـ) والقاضي عبد الجبار المعتزلي (ت 415 هـ) بكتابه " إعجاز القرآن "وهو الجزء السادس عشر من كتابه " المغني في أبواب التوحيد والعدل " .

فقد بحث عبد الجبار في مضامين هذا الكتاب حول قضية النظم باعتباره مرجعا للمزيّة والفصاحة، لينتدب بعد ذلك جار الله أبو القاسم محمود الزمخشري (ت 538هـ) ليخلِّص الدّرس القرآني من أزمة التّعقيد، فقد أبان في كتابه " الكشّاف " عن مدى نجاعة التحليل البلاغي وجدواه في الوقوف على أسرار القرآن العظيم ولطائفه الدقيقة على نكت التناسب بين آيه وسوره. " ثم تطورت بعد ذلك البلاغة وظهرت الدّراسات القرآنية التي فتحت باب البحث البلاغي على مصراعيه، فأفادت البلاغة العربية من ذلك أيّما فائدة، وقد حمل المتكلمون لواء هذه الدراسات وعنهم نجمت كتب الإعجاز التي صاغت أهم نظرية في تراثنا البلاغي، وهي نظرية النظم "[11].

هذه النظرية التي وُجدت في مضامين كتب الإعجاز التي أثارت مكامن هذه الفكرة وطورتها وأسست لها محددات وقواعد، لذا فإن مصطلح النظم في نقدنا العربي القديم " استخدمها بعض نقادنا للدلالة على الشكل العام للنّص انطلاقا من نظرتهم إلى وجود نوعين من النظم في العربية : النثر والشعر، وذلك قبل نزول القرآن الكريم الذي يشكل نصه نظما من نوع ثالث، واستخدمه عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) للدلالة على نظم المعاني وتنسيقها محمِّلا إيَّاه بُعدا بلاغيا عُرف بالتأليف عند الرُّماني، وبالضمّ عند عبد الجبار الهمذاني، ولقد أدى ارتباط هذه التسمية الواحدة بدلالتين اصطلاحيتين مختلفتين إلى شيء من الاضطراب عند بعض دارسينا، إذ رأى أن فكرة النظم عند الجرجاني قد بدأت عند الجاحظ وانتقلت إلى الواسطي فالجرجاني "[12].

فالجاحظ وإن كان هو أول من أرهص لهذه الفكرة وبلور مدلولها كنظرية قبل الجرجاني في كتابه "البيان والتبيين" بقوله " عند مخالفة القرآن بنظمه جميع الكلام الموزون والمنثور " [13] .

وعليه فإن الذين وطّدُوا مفهوم النظم النحوي هما: عبد الجبار الهمذاني المعتزلي، وعبد القاهر الجرجاني الأشعري ، سماه الأول الضم وجعله يقوم على ثلاث ركائز وهي:

1- أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم.

2- وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه.

3- وقد تكون بالموقع .

أما عبد القاهر فقد سماه بالنظم جيث أكّد أن الفصاحة والبلاغة هما موضع التحدي القرآني وأساس البيان فيه، فإن الإعجاز بالنسبة إليه كان في نظم القرآن.

علاقة التراث البلاغيبالتراث النقدي :

لقد بقي النقد والبلاغة جنبا إلى جنب يتوسل بهما إلى معرفة فن القول الجميل، والكشف عن أسرار البيان والإبداع في النظم والنثر، وحسبنا أن نعود إلى ما جاء في صحيفة بشر بن المعتمر لنتبيّن الخلط بين المعايير النقدية والبلاغية، وعدم التفريق بينهما رغم ظهور بعض المؤلفات مثل كتاب " الصناعتين " الذي يعده بعض الباحثين نقطة بداية تحول النقد إلى البلاغة، ومن القائلين بهذا الرأي الأستاذان محمد مندور في " النقد المنهجي عند العرب " ، وأحمد مطلوب في " بحث اتجاهات البلاغة العربية ".

فكلّ الدراسات والمصادر تقدم النقد عن البلاغة فذهب الدكتور "عبد العزيز عتيق" : بأن البلاغة والنقد شقيقان لم ينقطعا تماما، والنقد مازال يقوم في بنائه على أسس بلاغية وعاش "طه إبراهيم" هاجس البحث عن وجه صحيح لها معتبرا أن عدم نُضجهما راجع إلى سببين كامنين خارج البلاغة نفسها وهما : خوض الأعاجم والفلاسفة فيها من جهة واتخاذ قواعدها من أصول أجنبية لا تنسجم مع الذوق العربي من جهة أخرى "[14].

وعدّها "محمد مندور" من أدوات النقد ولكنها ليست إيّاه وقارب "محمد غنيم هلال" فكرة التّساوي مابين البلاغة والنقد حين رأى أن البلاغة كانت في الأصل نقدا ثم توجهت نحو الاستقلال عنه بفعل محنة الدراسات الأدبية العربية في تلك الحقبة تلك الدراسات التي لم تستطع أن تشق لنفسها طريقا تطوريا مبنيا على جهود جميع السابقين "[15].

" إن الحديث عن الأصول التي تجمع البلاغة العربية بالنقد إنما هو الحديث عن الحبل السُرِّي الدقيق الذي يصل البلاغة بالنقد "[16] يقول أحدهم وهو "محمد حرصي " أحد البلاغيين المحدثين " من أن ابن المعتز عند تأليفه لكتاب " البديع" لم يكن جوابا عن إشكال بلاغي وإنما كان موقفا نقديا من حركة شعرية سعت إلى خلخلة نموذج الكتابة الشعرية الموروثة عن القدماء، غير أن علم النقد لم يحافظ على استقلاليته "[17].

ومهما يكن من أمر فقد قال جميع هؤلاء الدّارسين بالتمييز مابين البلاغة والنقد بناء على اختلاف منهجيهما في التناول والطرح والمسلك وإنما كان ذلك بسبب انتشار مصطلح الفوضى الذوقية في مجال النقد على حد تعبير "إحسان عباس ".

إن أصول النقد والبلاغة تشهد بامتزاجهما في طور النشأة والتكوين بل تؤكد على وحدة هدفهما واشتراكهما في نقطة الانطلاق ومساحة العمل ... فكان النقد نقدا بلاغيا، والبلاغة بلاغة نقدية بمعنى اعتماد النقد على مقولات البلاغة، واعتماد البلاغة على الحس النقدي لذا كان النقد العربي القديم في غالبه نقدا بلاغيا[18] حيث عاشت البلاغة ملازمة للنقد، وحيث نما النقد مستعينا بما عرفوه من مقاييس الفصاحة وفنون البلاغة[19] .

التَّراث البلاغي قبل أبي يعقوب السَّكَّاكي وبعده:

لقد كانت البلاغة قبل السَّكاكي (626 هـ) بلاغةً واضحة المعالم،سهلة الفهم،لا ملتويةً ولا معقَّدَة، يسهل فهمها، ويتأتَّى تحصيلها والإلمام بها بأيسر تناول، لكنْ وما إنْ جاء الإمام السَّكَّاكيُّ بكتابه (مفتاح العلوم) هذا الكتاب الذي كان السَّكاكي مزهوا به منتخيا بانجازه فتراه قائلا" وسيطَّلع مِن كتابِناَ هذا من خَدمَه حقَّ خِدمَته على ثمراتٍ محتجبةٍ في أكمام "[20]. وكذلك تظهر ثقافة الإمام السَّكاكي وتعدُّدِها، في أخذه العلم عن أربعة علماء، أَكْثَرَ مِن ذِكْرِهِمْ وهُم (أستاذه الحاتمي،و عبد القاهر الجرجاني(471 هـ)، والزَّمخشري(538 هـ) والإمام العلوي اليمني صاحب الطراز)،لقد أثار كتاب(المفتاح) الكثير من التّعقيدات فيما يخص الدِّراسات البلاغية، حتى أخذت البلاغة لنفسها طريقا ثانيا طريقاً يَعْتوريه الكثيرُ من اللَّبس والتَّعقيد، فصارت البلاغةُ بلاغةً جافةً معطلةَ الزِّينة،باهتةَ اللَّون،يظهر على محيَّاها ومعناها الصَّعوبة، بسبب ما طغى عليها من النَّزعة الفلسفيَّة والتَّعليلات المنطقية لأنَّ السَّكاَّكي –كان قد أغواه سحر الفلسفة — فحاول تطبيق

مفاهيمها على البلاغة العربية، وهذا شأن كل المعتزلة بسبب انشغالهم بالمنطق والفلسفة وعلم الكلام فقد تأثر السَّكاكي بهذه النَّزعَات والتَّوجهات،فجاءت أفكاره مشْبَعة بالطَّرح المنطقي،المبني على التَّعليلات الفلسفية، لذا تحولت المقاصد البلاغية الأساسية إلى بلاغة جافة يَسُودُها الغموض وعدم الوضوح، فالبلاغة العربية ومنذ أن ظهرت أُولى بواكيرها الجنينية على أَسَلات اللِّسان العربي (شعراً و نثراً) وتخلَّقت واكتملت هَالةُ بيانها يومَ أُرسِل النّبي (صلى الله عليه وسلم) بهذا الكتاب العُجاب، فانمْازت هذه البلاغة عن باقي بلاغات الأُمم الأخرى بِقوَّة بُرهانها وخَلابة سِحرها، و لأنَّ هذه البلاغة مردُ عزِّها واعتزَازها بهذا الميراث المتنَّوع الذَّي ورثته من بلاغة اللِّسان العربي،ومن إعجاز القرآن البياني،فكُتب لها أن تحيا دهراً طويلاً،لتطاول الزَّمن بأنفَاس الأزَل،و لتبقى على صفحة التَّاريخ طُغراءً على جبين الدَّهرلتبرُز أهمية هذا التَّراث البلاغي والنَّقدي في مدى جدواه في تحليل النَّصوص تحليلاً مبنياً على الوقوف على مواقع الجمال ومواطن الكمال، ولما كان هذا العلم من الأهمية بمكان، ألفينا أربابَ الصَّناعة، أمثال أبي هلال العسكري يحتفون به فيقول : "إنَّ أحق العلوم بالتَّعلم وأولاها بالتَّحفظ بعد المعرفة بالله جلَّ ثناؤه علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذَّي به يُعرف إعجازُ كتاب الله تعالى وقد علمنا أنَّ الإنسان إذا أغفل علم البلاغة وأخل بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصَّه الله به من حسن التأليف وبراعة التركيب فينبغي من هذه الجهة أن يُقدم اقتباس هذا العلم علي سائر العلوم "[21].

إن البلاغة خلال أزمتها وجمودها على مفاهيمها التقليدية خلال مسارها الذي ينطلق من الجاحظ وقدامة، وعبد القاهر الجرجاني عبر ابن سينان الخفاجي وصولا إلى حازم القرطاجني، وضياء الدين ابن الأثير شهدت البلاغة عبر هذه المحطات تفاوتا في الطّرح والتّشكيل والتقعيد والإلمام والنّظر ، غير أنّ الكثير من أهل النّظر يُزرون على السّكاكي (626 هـ) عندما قسم البلاغة إلى أنواعها الثلاثة "فلم يتعرض مشروع بلاغي على مرّ التاريخ وعلى امتداده الطويل ما تعرض له مشروع السّكاكي من نقد وتجريح، فالكثير من الدّراسات جعلت السّكاكي مسئولاً لما آلت إليه البلاغة من عقم وجمود نتيجة تقعيداتِه وتعقيداته أحالها إلى بلاغة مدرسية منشغلة بإحصاء الوجوه المدرسية والتّمثيل لها (بيان ومعان وبديع) هذا ما جعل البلاغة تختنق وتجمد بمنطق السّكاكي وطروحاته الجافة "[22] ، يقول محمد العمري " والواقع هو أن السّكاكي لم يقصد في البداية إلى تأليف

كتاب في البلاغة بمفهومها الخاص والمتداول وأول شاهد لذلك عنوان كتابه : "مفتاح العلوم " ... وهو أن الكتاب ليس مفتاحا لكل العلوم، بل هو مفتاح لعلم واحد سماه : "علم الأدب "[23].

ثم زاد الطين بلّة أن قام الخطيب القزويني بكتابيه " التلخيص " و "الإيضاح " حيث دخلت البلاغة بذلك مرحلة جديدة، توسُّعات قضَّت مضجعها و حوَّلت مَسارها وبسبب كثرة الحواشي و الشُّروحات و المطوَّلات و الملخَّصات فارتبك وضعها و تعقد أمرها، و من ذلك الوقت و البلاغيون يتحدثون عن ذلك التّصور المدرسي الذي اقترحه، أي ما نسميه بالبلاغة المدرسية المختزلة ، والحقيقة أن عمل السّكاكي في أعقاب الجرجاني لا يمثل مسارين كبيرين .

فإذا نظرنا إلى المِسرد التّاريخي الذي أعدَّه (رولان بارت) حول البلاغة القديمة نجده يتموضع على أسس ثلاثة تعاقبت على مصطلح البلاغة كما تبلور في التقليد الغربي[24]:

1- البلاغة مبحث قديم وجهته الإقناع .

2- البلاغة مجموعة من صور التعبير قصدها الإمتاع .

3- البلاغة تقنية قابلة للتدريس.

ليرسم مصطلح " بلاغة " بين قطبي " الإمتاع والإقناع " "الريطورية "وبذلك صارت البلاغة ذات جناحين، جناح نصي لغوي عربي وجناح تداولي مقامي غربي .

"إذ كان من طوابع البلاغة الغربية فصلها بين الشعرية (poetica) والخطابة (rhetorica) ، فإن البلاغة العربية لم تعرف في تاريخها الطويل مثل هذا الفصل، فقد كانت البلاغة العربية منذ نشأتها "بلاغة عامة " موضوعها الخطاب الاحتمالي بنوعيه : التخييلي الشعري والتداولي الخطابي وهو الإنجاز الذي تحقق على نحو متكامل في مشروع السّكاكي حيث البلاغة : "مفتاح العلوم" وفي مشروع حازم القرطاجني حيث البلاغة :"العلم الكلي"[25].

فالبلاغة ليست بمعزل عن باقي العلوم الأخرى، بل علاقتها وطيدة بباقي الحقول اللغوية الأخرى (من نحو ، وصرف ، وفقه ، وتفسير ...) لتمضي البلاغة في اتجاهين مختلفين أو في مرحلتين متباينتين هما مرحلة البلاغة الكلاسيكية، ومرحلة البلاغة الجديدة، وإذا كانت البلاغة التقليدية بلاغة معيارية تعليمية تربط فن البلاغة بالخطابة والإقناع والإمتاع والبيان، فإنّ البلاغة

الجديدة قد تعاملت مع الخطابات النصية المختلفة منذ منتصف القرن العشرين تعاملا علميّاً وصفيّاً جديداً ضمن مجموعة من الاتجاهات: لسانية ، وأسلوبية، وحجاجية، وتداولية، وسيميائية، وأكثر من هذا أصبحت للبلاغة اليوم إمبراطورية واسعة .

قال عبد الرحمان ابن خلدون " واعلم أن ثمرة هذا الفن (البلاغة) إنما هي فهم الإعجاز من القرآن لأن إعجازه في وفاء الدلالة "[26].

البلاغة بين ماض مفروض وحاضر يملؤه الغموض:

بين ماضٍ مفروضٍ بحمولاته ومسلَّماته، وحاضرٍ يملؤُه الغُموض بمصطلحاته وتداعيَّاته وبدخول هذه المفاهيم الحديثة على البلاغة القديمة،قلَّصت من أدائها،ووسمتها بميَّسم آخرٍ يختلف عن هوَّيتها ومضمونها،حتىَّ صيرَّتها ظلاً يمشي في واقع تجربةٍ غربيةٍ فرضَت نفسها بكل المقاييس،وحوَّلتها إلى بلاغةٍ بلا لغة، وإلى فنٍ فاقدٍ للتّقة.

يستحوذ التراث العربي البلاغي على مكونات وإمكانات تاريخية مازالت حتى يومنا هذا تمثل الصّورة المثلى للمعطى النّقدي والبلاغي، لذا انبرّت العديد من المحاولات هنا وهناك للكشف عن ما يخفيه هذا الإرث من مضمرات وراء خلفية الاحتجاج بالنّص القديم،فكانت البلاغة العربية إحدى هاته الأيقونات الكريمة،والتي كثر حولها الكثير من اللّغط الكلامي باعتبارها حجر زاوية الفن الإبداعي والمشكل لفن القول للنّص الأدبي، لذا رام اللّغويون والبلاغيون على حد سواء إلى إنشاء براديغما فنية، الغرض منها والهدف من ورائها الخروج بالبلاغة العربية من حيّز الجفاف والتّعقيد إلى حيّز التجديد والتّقعيد، وإنّ الملاحظ والمتتبع لمراحل تطور البلاغة عبر سيرها الطويل يلمح تغيراً في مضمونها ومفهومها،وذلك منذ ظهور أولى البواكير الجنينية للبلاغة العربية وملامح تراثها النقدي على يد "بشر بن المعتمر" ووثيقته المشهورة في نظم القول،وبديهيات فن الخطابة التي أمدت الدّارسين بالمزيد من النّظرات والفتوحات الفكرية، وخدمة المدونة التراثية، هذا العطاء البلاغي و المنجز النّقدي كان من شأنه أن يرسم خطاطة تفضي إلى استيعاب كل الطروحات والتوجهات من جهة،مع رصد السيّاقات المعرفية والمساقات التاريخية من جهة أخرى،لذا شكّل التّراث البلاغي والنّقدي في ظل التّحولات الراهنة ثورة كوبرينيكية في مجال الحقول المعرفية الحديثة، إنّ الجهاز المفاهيمي للبلاغة العربية القديمة مع محاولة تبنيها للأفكار والأنساق الجديدة تعدّ قفزة نحو ركوب

مطية الجدّة مع عدم التّماهي مع هذا الجديد المغري أي ضمن حدود ومحدّدات يؤطرها التّراث و تفرضها الهوية وتمليها الضرورة.

والحقيقة أنّ الاهتمام بالتّراث اللغوي كانت مرتبطة رأسا بحملة " نابليون " على مصر (1798- 1801) فكان دخول هذا الوافد الجديد " فتحاً فكرياً وارتياداً عسكرياً "[27].

أثرمفاهيم البلاغة اليونانية في البلاغة العربية:

إن أثر أرسطو في البلاغة العربية أمر لا يمكن تجاهله، فقد كان البلاغون والنقاد الأوائل على إطلاع عليه، كما هو ظاهر في كتابات الجاحظ،و قدامة بن جعفر، وهو أكثر وضوحا عند المتأخرين أمثال السَّكاكي،و القزويني، و العلوي،وحازم القرطاجني،وكان ابن الأثير من أكبر الثائرين على الثقافات الأجنبية منكرا أن يكون لها أي أثر في كتاب العرب وعلماء البيان حتى في أولئك الذين انحدروا من أصل أعجمي وتصدروا للكتابة والإنشاء...فالعربي البدوي ماكان يعرف جزئيات المنطق و لا تفريعات الفلسفة ففي كتابه "المثل السائر" نجد له محاورات التي دارت بينه وبين محبّي الثقافات الوافدة والمولعين بها، يُرجعُ الكثير من الدَّارسين الأصول المعرفية لتاريخ الفكر اللّغوي عندَ العرب إلى الفكر الهليني كما يقول (كيس فيرستيغ) والمبني على مبدأين (الحد والاستدلال) والتي خضعت لها في الأساس مباحث البلاغة العربية بتقسيماتها المختلفة، وهذا التأثير يختلف حجمه عند الباحثين،ف"طه حسين" و "أمين الخولي" يريا بأنَّ هذا التأثير أخذ مساحة كبيرة، فقد أعلن الدكتور "طه حسين" في بحثه الذي طلع به على العالم الإسلامي في مؤتمر المستشرقين في الثاني عشر من سبتمبر سنة 1931بمدينة (ليدن)بعنوان "البيان من الجاحظ إلى عبد القاهر" وفي الجهة الأخرى نجد رأي الدكتور "إبراهيم سلامة "و آخرون يرون أنَّ التَّأثير موجود ولكنَّه محدود حيث يقول " أنَّ العرب أخذوا ما أخذوا عن البلاغة اليونانية،ولكنهم جددوا فيها...كما أنهم لم ينقلوا إلى بلاغتهم إلاَّ ما اتفق مع أدبهم...وبحسب العرب تفرداً في باب الشَّخصية أنَّهم لم ينقلوا آداب غيرهم"[28]. ويمضي الأستاذ "أمين الخولي" على سمت أضرابه في البَّرهنة على تأثر البلاغة العربية بالمد الإغريقي وتعاليم الفلسفة، وذلك في كتابيه (فن القول) و(مناهج تجديد في النَّحو والبلاغة والتَّفسير والأدب) قال أمين الخولي وهو يدعو إلى التَّمكين للجديد مع عدم إقصاء القديم، بل في إعادة قراءته قراءةً إنتاجيةً مثمرةً " ولأن التَّجديد في حقيقته أمره يبدأ مِنْ قتل القديم فهماً "[29]. وحيث اقترحا كل

من" أمين الخولي" و "أحمد الشايب"إلى إلغاء التقسيم الثلاثي للبلاغة وجعلا الأسلوبية بديلا عنها،و أشارا إلى أنَّ هذا التأثير حاصلٌ بأشكال عدَّة، وعوامل مختلفة، وهناك فريق من الدَّراسين ذهب إلى انعدام هذا التَّأثير بالكُليَّة في المكوِّن البَّلاغي العربي،وقد انتصر لهذا القول شيخ البلاغين عبد القاهر الجرجاني (471 هـ)، و ضياء الدين بن الأثير الجزري(637 هـ)، وتبعه في ذلك من المحدثين الدَّكتور فضل عباس، وشفيع السَّيد، وآخرون، فهم يدركون صلاحية البلاغة القديمة للأسْلَبَةِ الحديثة وحجَّتُهم في ذلك أنَّ التَّراث البلاغي العربي القديم، ذو خصوصيَّات ومميزات تختلف عن غيره، و أنَّ البراعة اللُّغوية والبلاغيَّة التي أُعطيتها أمةُ العرب في "فن القول" لا تضاهيها براعة، نظراً للخلفيَّات التَّاريخانية، والأنثروبولوجية، لهذا الجنس الذي أمدَّه الله بصنوف المعارف،يقول زكي نجيب محمود: " بأنَّ هذا الوضع دفع إلى تبني الإصلاح اللَّغوي بحكم أنَّ اللَّغة هي وعاءُ الحضارة ولأنَّ ثورة التَّجديد تّبدأ من اللَّغة وطرائِق تدريسها واستخدامها "[30].

وكما لا يخفى عن كل ذي عقل ما للأثر اليوناني من فاعلية في وضع اللّبنات الأولى للفكر العربي، ومحاولة دعمه له بصنوف المعرفة المتنوعة، وذلك منذ أن فتح الخليفة العباسي المأمون الباب أمام جملة من النّقلة والمترجمين، وإعطائه لهم حرية القراءة والكتابة، فكان هذا الانفتاح المعرفي، انفتاحا نحو الانعتاق من ربقة التّخلف والجمود على الحاضر، إلى ارتياد آفاق فكرية رحبة وواسعة، كان لها ما بعدها، ولقد اطلع العرب في هذه الحقبة من العصر الذّهبي للخلافة العبّاسية على العديد من المفاهيم، والكثير من العطاءات الثقافية التي شكلّت الذّهنية العربية وأسهمت في بلورت الحضارة الإسلامية يومئذ، فتحوّل العقل العربي من عقل بدوّي صرف، إلى عقل يملؤه التفكير والنّضج و الوعي التّام بمدى ضرورة تحقيق مبدأ تلاقح الثّقافات وعدم الانكفاء على الذّات والاجتهاد في تطوير الفكر و الخروج بالعقل إلى أفق الاحتكاك والحوار وعدم الثواء و الجمود على القديم، بدعوى الخوف من الآخر، يقول عيد بلبع: " ولعلي لا أكون مبالغاً...إذا زعمتُ أنَّ إفادتنا من المعارف المستعارة من الآخر على زيادة وعينا بتراثنا بوضعه في سِّياق معرفيٍّ مرفودٍ بخبرة الآخر الحداثيَّة أَجْدَى بكثيرٍ من محاولات التَّقمص التي يلتقط فيها الكَّثير من البَّاحثين جُذاذات متطايرة من المقولات المستعارة "[31]. وهذه النظرة هي من سبّبت الحجر على العقل العربي وجعلته يعيش بعيدًا عن واقعه دون الاهتمام بمعالجة مشكلاته وتأزّماته التي ماانفك يعانيها ويغالب الزّمن على

الفّكاك من آصارها و تبعاتها، و إلى هذا أشار العديد من الباحثين والعلماء المحققين إلى جدوى البحث البلاغي، وذلك بوضع خطاطة تهدف إلى تشكيل نمط البلاغة العربية بغية التّحديث والتّجديد حتى لا يبقى العقل أسير التّقليد ورهين الجمود، لذا كانت الدّعوى إلى توليد أفكار ومناهج جديدة تضفي على النّص البلاغي القديم ثوب الجدّة،بآليات إجرائية ومفاهيم استشرافية تستعين بأدوات المستقبل وترتكز على إرث الماضي أي تحت طائلة المفهوم الذّي يقوم على " مجاراة روح العصر مع البقاء على الأصل" وهذا مأتاه من جديّة هذا الأقنوم، ومن خلال تتبّعنا الدقيق لمسارات البحث البلاغي عند العرب، خلصنا إلى أنّ الملاحظات الأسلوبية هي المصدر الأول للبلاغة العربية،حيث جمعت تحت مسمّى البديع ومحاسن الكلام " ابن المعتز " و أن الطُّموح إلى صياغة نظريَّة عامةٍ للفهم والإفهام أو البيان والتبيين " الجاحظ " هو المصدر الثاني الكبير للبلاغة العربية، ومن هنا، فإن للبلاغة العربية مهدين كبيرين، مسار البديع ويغذيه الشّعر، ومسار البيان وتغذيه الخطابة " وإلى هذا أشار حازم القرطاجني بقوله: " ولو وَجدَ الحكيمُ أرسطو في شعر اليونانين ما يوجدُ في شعر العرب من كثرة الحِكَمِ والأمثال و الاستدلالات و اختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام ...لزاد على ما وضع من القوانين الشّعرية "[32].

البلاغة الجديدة وأثرها في تأطير المكوَّن البلاغي القديم (قراءة في المفاهيم) :

البلاغة العربية هي اللِّسان الذَّلق الذَّي يُعبرُ عن أشكال البيان المختبئ في رَدَهَات الزَّمان، بألسنة الإنسانيَّة، قال حازم القرطاجني (684 هـ)" وكيف يظنُ إنسان أنَّ صناعة البلاغة يتأتَّى تحصيلها في الزَّمن القريب، وهي البحر الذَّي لم يصل أحدٌ إلى نهايته، مع استنفاد الأعمار "[33]. وهي كلمة واحدة، لكنها تجري في وجوه كثيرة، لقد شكّلت البلاغة الجديدة قفزةً حضاريةً، محاولة منها في استيعاب وتبيئة الأطر العامة للبلاغة القديمة، في نطاق ما تسمح به خصوصية هذا التحوّل ووفق مقاربات معرفية ناضجة وواعية بأهمية هذا المعطى التّاريخي والحضاري لمفهوم البلاغة، إذ تعتبر من بين الجسور التي أسهمت في مد الحقول اللّغوية باعتبارها رافدًا مهمًا في بناء نظريّة بلاغيّة متكاملة القصد منها اجتراح خُطَطٍ جديدةٍ تُسهم في تشكيل النَّمط الدَّلالي لهذه اللَّفظة.

ومع منتصف القرن العشرين، أصبحت البلاغة الجديدة في ثوب جديد، لأنها كانت تُعنى بوصف قواعد الخطابات و الأجناس الأدبية، وتصنيف الصور البلاغية والمحسنات البديعية و تبيان

وظائفها في ضوء مناهج معاصرةٍ لسانيةٍ وبنيويةٍ وسيميائيةٍ وشعريةٍ(poetukuk) كما لم تقصر البلاغة على ماهو لساني في دراسة الصور والخطابات الأدبية بل هي تهتم بالحجاج في الخطابات الفلسفية و الأخلاقية و الاجتماعية والقانونية و السياسية مع:شايم بيرلمان (c.perelman) و لوسي أولبرخت تيتيكا، (l.olbrechts-tydeca)وأكثر من هذا يمكن الحديث أيضا عن بلاغة سيميائية مع (رولان بارت)رفقة جماعة (مو)، أمَّا في عالمنا العربي فقد شهدت البلاغة العربية العديد من النَّظرَات والنَّظريَّات للكثير من العلماء البارزين في هذا الحقل، فمفهوم البلاغة مرّ بطورين و بين جيلين: بين جيل قديم، أمثال "شوقي ضيف" و "بدوي طبانة"و "أحمد مطلوب"و "أحمد مصطفى المراغي" ساهم في التعريف بهذا التراث وفق قراءة تاريخية حاولت أن ترسم مراحل تطور الفكرة البلاغية عند العرب، وجيل جديد أراد إعادة نهج القراءة من اتجاهها السِّياقي إلى الاتجاه النَّسَقي وذلك أمثال "محمد العمري"و "حمادي صمود"و "محمد مفتاح" و"محمد عبد المطلب"محاولة منهم لفهم النظرية البلاغة القديمة مقارنة بالمقولات اللسانية الحديثة ذاكرين أن القراءة التقليدية لم تعد ذا جدوى في فهم العقل البلاغي العربي، نعم لقد حاولت البلاغة التقليدية في نظرتها المعيارية أن تمهد لنفسها طريقا نحو المزج والاندماج لتحقق قاعدة كلية مفادها حسن التعامل مع النَّصوص الأدبية،كانت البلاغة التَّقليدية تقومُ على المعيَّارية والنَّظرة التَّعليمية المحضة إلى جانب الفيض البياني القائم على الإقناع والإمتاع مع مراعاة بلاغة الخطاب كشرط أساسي في توصيل الرَّسالة المقصودة، وهي (إيصال المعنى إلى القلب) وهذا هو ما تنماز به البلاغة الكلاسيكية كونها: تعليمية، معيارية، بيانية، فهي ترتكز على أساس بيان بِنية جمالية الخطاب،و التيَّ يكتسبُها الكَّاتب وفق آليةٍ من الأدوات التي يحتاجها في إبراز منَّاحي الكتابة الفنيَّة بُغية اكتساب ملكة الفَّصاحة والبلاغة،بينما البلاغة الجديدة كبديل إقناعي هدفه مجاوزة حد المعيارية إلى الوصفية جاعلةً من مبدأ الوصف قاعدتها في تنميط وبناء خطابات بلاغية متعددة ذات أشكال متباينة،تستخرج من قواعدها المضمرة العاكفة على استخلاص أسرار النصوص البلاغية وتحليلها وفق آليات لغوية، منطقية،ولسانية، وحجاجية، وسيميائية، وأسلوبية، وأكثر من هذا قد بات للبلاغة إمبراطورية واسعة، وامتدادات شاسعة،وقد تفرَّعت عن البلاغة الجديدة مجموعة من الاتجاهات اهتمت بالبعد البلاغي وفي تشكيل مسارها و من بين هذه الاتجاهات والمسارات نجد :

1-الاتجاه اللساني؛

2-الاتجاه الأسلوبي؛

3-الاتجاه السيميائي؛

4-الاتجاه البنيوي؛

5-الاتجاه الحجاجي؛

6-الاتجاه التداولي.

ومن دواعي التجديد في البلاغة العربية عند المحدثين نذكر منها:

1-جمود البلاغة العربية وتعقيدها وسبب هذا الجمود راجع إلى عدة عوامل أسهمت بطريقة أو بأخرى في ركود مفاهيمها وتعقد أساليبها نذكر منها:

1-1 نشأة البلاغة في بيئة المتكلمين والأصوليين؛

1-2 أكثر علماء البلاغة العربية هم من غير العرب؛

1-3 ارتباط البلاغة العربية بقضية إعجاز القرآن الكريم؛

1-4 تراجع الأدب وعزلة العربية خاصة في العصور التي تلت القرن الخامس الهجري؛

1-5 أثر الفلسفة والمنطق في البلاغة العربية.

2- النظرة الإجتزائية في البلاغة العربية[34]، وهنا تنبهوا إلى وقوف البلاغة إلى حدود الجملة أو ما في حكمها ولم يتعدى ذلك إلى النص الأدبي أو القطعة الكاملة، فقد كانت نشأة البلاغة العربية نشأة دينية ارتبطت فيها بالنص القرآني فضلا على أن قضية الإعجاز القرآني التي تبحثها البلاغة العربية طُرحت طرحا نصيا في مؤلفات البلاغيين لأن الإعجاز يكمن في النص ذاته (فالإعجاز مزية النّص)، لذا برزت النظرة الشمولية عند عدد من البلاغيين وخاصة المتقدمين ومن هؤلاء " الباقلاني (403 هـ)" و " الرمّاني" و " الجرجاني (471 هـ)".

3- علمية البلاغة العربية وابتعادها عن تحليل النصوص الأدبية، وقد اتهُم السَّكاكي بأنه السبب في وراء هذه العلمية.

4- معيارية البلاغة العربية، أي أنها ترسل الأحكام على وفق معايير مسبقة وقواعد تحفظ عن مقتضى الحال والتشبيه المفرد والمركب والمجاز والاستعارة التمثيلية والكناية والخبر والإنشاء والفصل والوصل... وغيرها.

5- عدم تمييز البلاغة بين الأجناس الأدبية[35]، فهي لم تفرق بين بنية الشعر وبينة المقامات وبينة القصة.

6- كثرة التقسيمات والتفريعات في الفنون البلاغية[36]، يؤكد أكثر الباحثين على أن البلاغة العربية تعيش أزمة حقيقة تتمثل في أكبر تجلياتها التكثير والتفريع والتداخل والتوارد والاضطراب بين المفاهيم والمصطلحات.

خاتمة:

إن الحديث عن التراث النقدي والبلاغي صار من أمهات القضايا التأسيسية، والمسائل الرئيسية، التي تباحثها الباحثون وتناولتها أقلام المتخصّصين فأفادوا منها وأفادوا بها، ولأن تراثنا البلاغي ما زال إلى اليوم يشكو بعض النَّقص والحاجة إلى تمكين دعائمه ووصل عُراه، وذلك بتأصيل مفاهيمه المعرفية والتَّاريخية، وتفعيل آلياته الإجرائية بنوع من التّوسع الايجابي لقواعده وتطبيقها على مناطات الخطاب (أسلوبيا، ولسانيا، وسيميائيا، وبنيويا)، حتى تضحى للبلاغة مصطلحاتها التراثية الخاصة بها بعيدا عن ما يشاع حولها من دعاوى ومزاعم التي تنادي بإخراج البلاغة من وضعها التقليدي القديم المكرور إلى دينامية الجدّة والتطور عبر توليفة متوائمة يعضد بعضها بعضا، إذ هي دعوة إلى قراءتها قراءة آنية متأنية، فاحصة غير مُتخرِّصة في ظل تعايش الأنسَاق الحضارية، وهذا التَّغير هو من موجبات التَّطور الهرَمي الذَّي تفرضه العقول على العلوم، لكنَّ عقم الدّراسات وقصورها المنهجي أثّر على مادتها وهيأتها فصيَّرها جامدةً على وضعها حتى سميت بالعجوز (البلاغة)، وهذا دافع مبني على فكر مغلق أو حكم مسبق فوجب علينا لكي نتغير أن نستمد من الآخر من دون أسْلبَةٍ أو تماهي؛ فإن بعض الدّارسين العرب المحدثين لا يزالون

شديدي الحذر من المناهج الغربية التي يرفضونها جملة وتفصيلا، والأجدى عندنا ... هو أن نفتح عيوننا على الوافد الجديد من العلوم والمناهج.

الهوامش :

1- ابن قتيبة أبو محمد عبد الله ابن مسلم: الشعر والشعراء، دار إحياء العلوم، ط 6، بيروت، 1997 م، ص:07.

2 – حسين أحمد حسين كتانة، المنهج في قراءة التراث النقدي و البلاغي عند العرب أمجد طرابلسي أنموذجا، حوليات آداب عين شمس، المجلد 40، أكتوبر. ديسمبر 2012، ص: 07.

3- ينظر: جابر عصفور، النقد الأدبي، ص:07.

– بدوي طبانة، دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، دار المنارة، جدة، ط 7، 1988، 4ص:09.

5 – الطاهر و عزيز، مقدمة كتاب المنهجية في الأدب و العلوم الأنسانية، تأليف جماعي، دار توبقال، الطبعة 1، 1986، ص: 7.

6- المصدر نفسه : ص 6.

7 –ينظر رولان بارت، بلاغة الصورة، نقله الشرقاوي " البلاغة القديمة " ص: 5.

8- جلال الدين السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، شرحه وضبطه ، محمد أحمد جاد المولى بك ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، علي محمد البجاوي ، منشورات المكتبة العصرية ، صيدا، بيروت ،1986،ج1، ص165.

9- مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، المكتبة العصرية ،2001، ص: 231 .

10- ابن قتيبة الدينوري ، تأويل مشكل القرآن ، شرحه السيد أحمد صقر ، المكتبة العلمية ، ط3، 1981 ، ص12.

11- مجلة مجمع اللغة العربية ، دمشق ، المجلد 81 ، ج1، أصول العلاقة بين البلاغة والنقد القديم حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، أ-حسين الأسود ، ص116.

12- علي مهدي زيتون ، الإعجاز القرآني وآلية التفكير النقدي عند العرب ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2011 ، ص 265.

13- الجاحظ ، البيان والتبيين ، تح عبد السلام هارون ، دار الفكر ، بيروت ، (383/1) .

14- علي مهدي زيتون ، الإعجاز القرآني وآلية التفكير النقدي عند العرب ، دار الفارابي ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2011 ، ص 23.

15- نفس المصدر ، ص23.

16- مجلة مجمع اللغة العربية ،حسين الأسود ، أصول البلاغة وعلاقتها بالنقد القديم حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، المجلد 81 ، الجزء 1 ، ص115.

17- منتديات البلاغة والنقد قسم علوم اللغة العربية مقال بعنوان العلاقة بين الأدب والبلاغة والنقد ، شبكة الفصيح ، الأنترنت.

18- ينظر ، محمد كريم كواز ، البلاغة والنقد (المصطلح النشأة والتجديد) ، ص200.

19- نوال عبد الرزاق سلطان ، العلاقة بين البلاغة والنقد حتى نهاية القرن الرابع الهجري ، دار البشائر ، دمشق ، ط1، 1429 ، ص6.
20- أحمد مطلوب، البلاغة عند السكاكي، ط 1، 1964، ص:70.
21- أبو هلال العسكري ،كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر تح محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، ط1، ص:07.
22- ينظر ، محمد العمري ، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص77.
23- محمد العمري ، البلاغة العربية ، أصولها وامتداداتها ، ص:479 .
24- ينظر، مصطفى الغرافي عن البلاغة العربية ، دراسة في تحولات المفهوم ، 2014، ص: 9.
25- ينظر: مصطفى الغرافي ، عن البلاغة دراسة في تحولات المفهوم ، 2014، ص: 11.
26- عبد الرحمان بن خلدون، مقدمة بن خلدون ، دار الفكر ، 2007 ، ص: 605.
27- عباس بن يحي، مسار الشعر العربي الحديث و المعاصر، دار الهدى للطباعة و النشر، (د . ط)، 2004، ص: 19.
28- بسيوني عبد الفتاح فيود ، علم البديع ، دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ، مؤسسة المختار ، القاهرة ، ط3، 2011، ص:130.
29- المصدر نفسه، ص: 131.
30- زكي نجيب محمود، تجدي الفكر العربي، دار المعارف، مصر (د ط)، ص:205.
31- عيد بلبع، القطيعة المعرفية وسلطة الجذور، جمهورية مصر العربية، ط 1، 2009، ص:46.
32- ينظر : حازم القرطاجني ، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، ص :88.
33- حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص:88.
34- بن عيسى بن طاهر، تيسير البلاغة في كتب التراث، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني –الأردن–، ع 68، 1425 هـ-2005 م، م:30.
35- شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ، دار المعارف ، القاهرة ، ط9، ص:378.
36-سناء حميد البياتي، نحو منهج جديد في البلاغة والنقد، دراسة وتطبيق، منشورات مطبعة جامعة قاريونس، بنغازي ط 1، 1998، ص: 12-16.